الباب الثالث

في وسائط التربية

إن التربية لا تنحصر في التربية المدرسية وليست مقصورة على زمن الطفولة والشباب ، فالإنسان في كل أطوار حياته يتأثر بعوامل التربية المختلفة من المنزل والمدرسة والمهنة والسلطة المدنية والجامعة الوطنية والبيئة الجغرافية والدين سواء في ذلك القدوة الصالحة والموعظة الحسنة أو التقاليد التي درجت عليها الأمة. نعم إن استعداده لقبول آثار هذه العوامل يقل على التدريج كلما تقدم في السن ومن المتعذر تحديد الوقت الذي يكون فيه غير قابل للتأثر والحق أنه قابل له مادام فيه عقل يعقل.. وإن أعظم هذه العوامل المنزل والمدرسة ونحوها من معاهد التعلم .

المنزل

قد نبالغ عند الكلام على التربية المدرسية وتأثيرها في تكوين الرجال البررة حتى إذا ظهر نقص في تربية المرء نسبنا ذلك بلا تردد الى ضعف في التعليم المدرسي وهذا ظلم بين فالمدرسة ليست إلا عاملًا واحدًا من عوامل كثيرة. نعم أن المدرسة تستطيع القيام بجزء عظيم من تهذيب المرء وتكوين أخلاقه، ولكنها لا تستطيع أن تقوم بكل ما يحتاج إليه.

ومن هذا يظهر خطأ قول من قال (من بنى مدرسة أغلق سجنًا) فإذا أردت إغلاق السجون فإجتهد في رفع شأن البيوت. فرقي الأمة متوقف

على رقي التربة المنزلية فالمنزل بلا ريب أشد تأثيرًا من المدرسة مهما عظم تأثيرها في تكوين الشخص وهو أول عوامل التربية وفيه يتعلم الطفل كيف يستعمل كل أعضائه ويقوم بكثير من الحركات الجسمية السديدة ويكون كثيرًا من العادات كما أنه يتعلم فيه الكلام وفهم العبارات ويستمد كثيرًا من الألفاظ والتراكيب ويقف على مقدار عظيم من الأفكار والآراء التي تدور بين أفراد أسرته فيتخلق بأخلاقهم ويشب متشبعًا ميولهم ومشاربهم فمن أسرته يفقه معنى بعض العلاقات الاجتماعية بين أفراد بني الانسان وما لهم من الحقوق عليه وخاصة طاعة الوالدين وحسن المعاشرة وإحترام الغير ومراعاة حقوقه اذا كان المنزل راقي وقد يتعلم منهم ضد هذه الصفات إذا كانت بيئة المنزل فاسدة فهو في هذه السن أقدر مثال بيشته ما يكون على قبول صور الأشياء حوله ؛ وهو بفطرته ينمو على مثال بيئته.

ويكون تأثير المنزل في دوري الطفولة والشباب قويًا ثم يستمر إلى أواخر أيام الإنسان وإن كان يتناقص على التدريج تناقصًا مستمرًا حينما يدخل المرء في دور الحياة الإجتماعية.

واعلم أن البيت الشريف والبيت الوضيع كلاهما عظيم الأثر في تكوين الأخلاق وإن إختلف الاشران: فالثاني يعد الطفل لعمل المستقبل إعدادًا ضارًا شائنًا وهو مع ذلك خير من البيت الذي لم يرب الطفل أصلًا، فالبيت الوضيع كثيرًا ما يغرس في نفس الطفل قوة الإرادة وصدق العزيمة وإن كان يغرسهما فيه لغرض غير شريف؛ فقد يساعده الحظ في مستقبل أيامه فيرجع عن غيه ويصلح من عمله وحينئذ يكون ما غرس فيه

من صدق العزيمة وقوة الإرادة ممن أعظم الوسائل للقيام بجلائل الأعمال؛ ويصبح أحسن حالًا ممن أقفلت تربيته، فهو ينشأ ضعيف الإرادة واهن العزيمة لا يستطيع مقابلة مصاعب الحياة يرتبك لأي حادث يصيبه، ويضطرب لأية كارثة تنزل به.

المدرسة

إن المدرسة هي أكبر عوامل التربية فقد أسست لتربية النشء وليس لها وظيفة أخرى. أما غيرها من العوامل فلكل وظيفة خاصة به بجانب التربية؛ ولهذا كان من السهل إهمال التربية فيما عدا المدرسة

من العوامل؛ وليست الحال كذلك في المدرسة لأنها لم تؤسس إلا للتربية.

مهمة المدرسة

إذا بحثنا عن مكان المدرسة في المجتمع الإنساني أمكننا أن نقف تمام الوقوف على العمل الذي تقوم به:

(١) إنها تختص بتعليم النشء ما يتعذر على الآباء القيام به؛ فالمعلم نائب الأب في تربية إبنه؛ ومن هنا يظهر أن المدرسة لا تحسن العمل المطلوب منها إلا إذا كانت الرابطة بينها وبين المنزل وثيقة محكمة، وتعاونًا على العمل (وسنتكلم قريبًا في الصلة بين المدرسة والمنزل).

(٢) إن المدرسة هي الواسطة التي بها يدرك الطفل معنى الحكومة وسيطرتها؛ ففيها يقف على معنى قانون الأئمة وعاداتها؛ ويفقه أن أعمال المرء توزن ميزان العدل؛ وبها يلقن نظام الحكومة وشيئًا من

قوانينها ، فالمدرسة إذن من أكبر ما يساعد الحكومة؛ لأنها تنفذ أوامرها من حيث تربية الأطفال وحملهم على طاعتها؛ فهي المكان الوسط بين المنزل والحياة العامة، كما أن التلاميذ فيها يرى نفسه في مكان أوسع من البيت وأضيق من ميدان الحياة الاجتماعية المستقبلة.

هذا وقد سبق عند الكلام على التربية الخلقية أن وظيفة المدرسة لا تنحصر في حشو أذهان التلاميذ بالمعلومات ولكنها عامل كبير في تكوين الأخلاق، فللقدوة الصالحة والموعظة الحسنة فيها أكبر تأثير.

ولا يقال إن المدرسة أحسنت القيام بعملها إلا إذا قامت بهاتين الوظيفتين وهما:

(١) تلقين المعلومات

(٢) تهذيب الأخلاق؛ فأخرجت رجالًا قد تحلوا مكارم الأخلاق، وتزودوا من العلم والمهارة أول نصيب.

موازنة بين التربية المنزلية والتربية المدرسية

تخالف التربية المدرسية التربية المنزلية من حيث نفوذهما في الأطفال ومعاملتهما لهم وأثرهما في تهذيب أخلاقهم وتكوين عاداتهم :

(١) السيطرة في كل من المدرسة والمنزل

إن سيطرة المعلم أقل من سيطرة الوالدين لأن الطفل منذ نشأته الأولى يرى أن الذي يعوله ويقوم بحاجاته وإصلاح شأنه أبواه فيعتقد أنه معتمد عليها كل الإعتماد وأن حاجته إليهما أشد من حاجته إلى غيرهما

من معلم أو غيره. هذا إلى أنه إذا رأى من معلمه شدة أو قسوة فزع إلى والديه. أما إذا أغضب أحدهما فإنه يرى ألا منقذ له منهما فيسعى في إرضائهما وطاعتهما

(٢) المعاملة المدرسية والمنزلية

(أ) إن أساس الحكومة المدرسية العدل والمساواة؛ لأن جميع التلاميذ في الصلة

بالمعلم سواء فهو يسوي بينهم في الثواب والعقاب ، كل ما كسبت يداه «فمن يعمل مثقال ذرة خيرًا بره ومن يعمل مثقال ذرة شرًا يره» ، وأحبهم إليه أحسنهم أخلاقًا، وأكثرهم إجتهادًا، وخيرهم إتقانًا للعمل وإحكامًا. أما الآباء فقد تضطرهم الرأفة والشفقة إلى التغاضي من ذنوبهم حتى يتمكن الفساد في نفوسهم وتتأصل الرذيلة في أفئدتهم ويصعب فيما بعد علاجهم. وبما أن العدل هو أساس الحكومة المدرسية فإن جميع التلاميذ ترضى عنها فتكون عندهم عادة الرضا عن كل ما يكلفونه من الأعمال.

(ب) إن المنزل يعامل الطفل في أول نشأته بالرحمة والرأفة حتى إذا ترعرع حوسب على أعماله وأخذ بالعدل والقصاص. أما المدرسة فإنها تعامل تلاميذها في أول الأمر على مقتضى القانون حتى يعتادوا النظام والخضوع للقوانين، ثم تعاملهم بعد ذلك بالرأفة واللين.

(٣) أثر كل من المنزل والمدرسة في التهذيب

(أ) إذا كان أثر المدرسة قويًا في تكوين الطفل فأثر البيت أقوى وأشد،

فهنة الأسرة وعاداتها وتقاليدها ومعتقداتها كلها تؤثر في حياة الطفل، فيتشكل بها، ويطبع عليها؛ ولذا وجب أن يكون المربون في البيت على ما يجب أن يكونوا عليه من الاخلاق الفاضلة والصفات الحميدة.

(ب) إن العادات التي تكون في المنزل أساسها المحاكاة. العادات التي تؤسس في المدرس ، فكلها مبنية على الفكر والتعقل والإرادة.

(جـ) إن الأطفال يصرفون زمنًا في المدرسة أقل من الزمن الذي يصرفونه في منازلهم؛ ومن ثم كان تأثير المنزل أقوى من تأثير المدرسة، فإذا إتحدت وجهة التأثير فيهما ساعد المنزل المدرسة وكانت النتيجة على أحسن ما يبتغى، أما إذا إختلفت فيهما فهناك الطامة الكبرى.

(ء) إن المدرسة محل إجتماع عدد عظيم من الأطفال، والإجتماع محك الاخلاق، فيسهل على المعلمين الوقوف على أخلاق التلاميذ فيصلحون ما فسد منها إلا أن الطفل في بيته حر يفعل ما يشاء لأنه لا رقيب عليه يخشى بأسه ولا شغل يصرفه عن فعل ما تهواه نفسه، ولذا كان توافر الفرص التي تمكن المربي من معرفة مواطن الضعف في أخلاق الطفل في المنزل أكثر منه في المدرسة ، والاجتماع يدعو إلى التنافس الذي يثير الغيرة في نفوس الأطفال، ويبعث فيهم حب النشاط والمثابرة على العمل والمسارعة إلى صالح الأعمال.

الصلة بين المدرسة والمنزل

يقوم الآباء في زمن بداوة الأمة بتربية أبنائهم، فالأب يلقن إبنه أسرار

مهنته، والأم تعلم إبنتها طريقة عمل ما تكلف القيام به. فإذا إنتقلت الأمة إلى الحضارة، وكثرت أعمال الآباء عهدوا

في تأدية هذا الواجب إلى المعلمين الذين ينصبون أنفسهم للقيام بما يعجز الآباء عن تأديته. ولا ينتهي واجبهم بتسليم أولادهم إلى المدرسة، فكثير منهم يرسل إبنه الى المدرسة مفوضًا أمره اليها وإذا رأى في تربيته نقصًا شن الغارة عليها ناسيًا أن اللوم واقع عليه وحده لأنه لم يهتم بما يعلم إبنه في المدرسة، ولم يشترك مع المدرسة في تأدية مهمتها، على أن الأمر في بعض الأحيان لم يقتصر على هذا الإهمال فكثيرًا ما يتدخل في أعمال المدرسة فيعرقل مساعيها ويقف حجر عثرة في سبيل النهوض بإبنه.

هذا إلى أن بعض الآباء لم يختر لإبنه المدرسة التي تلائمه فيعمد إلى أقرب مدرسة لمنزله، أو رخص مدرسة ثم يشكو بعد ذلك تقصيرها، وعلى ذلك تتوتر العلاقات بين الآباء والمعلمين ومن ثم يظهر أنه يجب أن تكون بين الأسرة والمدرسة صلة متينة حتى ينشأ الناشئ على ما يرضيهما فيها متضامنان في تربيته. وهذا يتضمن أن يكون على كل منهما واجبات يؤديها نحو الآخر.

واجبات المدرسة

(١) عقد التعارف بالآباء ليستطيع الوالد معرفة المعلمين معرفة غير مبنية على ما يصوره له ولده فتدعوه لحفلاتها، كما يصح أن تدعو الآباء جميعهم إلى إجتماع يراد به التعارف والمباحثة فيما يعود على أبنائهم بالفائدة: أو تنتهز فرصة تغيب التلميذ فترسل أحد المعلمين لزيارته.

(٢) إرشاد الوالدين إلى القواعد الصحية التي يجب عليهم إتباعها حتى يكون أبناؤهم في صحة جيدة، إذ أن بعض الآباء على جهل عظيم بذلك.

(٣) مكاتبة الآباء فترسل إلى والد التلميذ تسأله مساعدتها في الإشراف على أعمال إبنه وقيامه بالواجبات المنزلية، وأن يراقبه بوجه خاص في المواد التي يظهر فيها ضعفه.

(٤) أن ترسل إلى الوالد تقارير يفصل فيها درجة أعمال التلميذ وأخلاقه وإجتهاده ليجازيه على مقتضاها.

(٥) ألا تكلف الآباء ما لا طاقة لهم بإتفاقه من المصروفات غير الضرورية.

(٦) معاونة البيت في إيجاد عمل يصرف فيه الطفل وقت فراغه فتربي فيه حب المطالعة والذوق السليم في إختيار ما يقرأ وتقوم كثير من الرحلات العلمية، وزيارة الآثار، وتعويد الأطفال الإختلاف إلى مكتبة المدرسة وإنشاء الجمعيات المدرسية ونحو ذلك.

(٧) أن تدرس مواهب الطفل وتختار له العمل الذي يلائمه في حياته العملية، وأن تساعده في الحصول على عمل يقوم به متى خرج إلى ميدان الأعمال.

واجب الوالدين

(١) مساعدة سلطة المدرسة، فجعل النظام البيتي على مثال نظام المدرسة، وعدم تشجيع الولد على إهمال واجب من واجباته بتكليفه القيام

بشأن من شؤون المنزل أو بأخذه إلى ملهى من الملاهي أو نحوه إذا وقف ذلك في سبيل تأديته واجبه.

(٢) عدم محاربة إدارة المدرسة فلا يمنع الولد من الإشتراك في الألعاب المدرسية أو الحضور كل يوم إلى المدرسة ونحو ذلك ولا يسمح له بالتأخر عن مواعيدها.

(٣) تجنب كل ما يشم منه الطفل رائحة إحتقار شأن المدرسة أو الحط من كرامة المعلم إن كان بعضهم يستحق ذلك، فينبغي ألا تنقد المدرسة أو المعلمون أمام الأولاد، فهم يساعدون الأب على تربية ولده، ويجب أن يكون الأب لمساعده وفيًا.

(٤) العناية بصحة الأولاد وتقوية أجسامهم فيهتمون بغذائهم ومسكنهم ورياضتهم ووقايتهم من الأمراض المعدية وغير ذلك.